رسالة في التفضيل بين الملك والإنسان

تأليف

الشيخ: محمد عبد الرؤوف المناوي

تحقيق ودراسة:

د. حسين جليعب السعيدي
رئيس قسم العقيدة والدعوة
كلية الشريعة- جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد بن عبد الله و على آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد:

إن التراث الإسلامي زاخر بنفائس المعرفة والثقافة ؛ نتيجة لاشتغال علماء الأمة رحمهم الله تعالى بالبحث والتأليف، حيث أفنوا في ذلك أعمارهم وأوقاتهم، وانشغلوا بالعلم عن صغائر الأمور ابتغاء ثواب الآخرة، وخدمة لهذا الدين العظيم.

فألفوا الكتب في مختلف العلوم والفنون، و وصل لنا منها الكثير مخدوما بأيدي طلبة العلم، وبقي منها الكثير حبيس أدراج مكاتب المخطوطات في كافة أنحاء العالم فلم يظهر للتحقيق والنشر، ومن هذه المخطوطات هذه المخطوطة النفيسة " رسالة في التفضيل بين الملك والإنسان " للحافظ المناوي رحمه الله تعالى التي أقدمها للقارئ الكريم راجيا من العلي القدير أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان مؤلفها وكل من سعى لإخراجها يوم نلقاه .

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- **عملي في المخطوط:**

انقسم عملي خلال إخراج هذا المخطوط الى قسمين، القسم الأول: النص المحقق، القسم الثاني: النص المخطوط، وفيما يلي عرض لذلك.

القسم الأول النص المحقق:

عملت على إخراج نص المخطوط "رسالة في التفضيل بين الملك والإنسان" إخراجا علميًا موثقًا، وفق المنهج العلمي المتبع لدى الباحثين المهتمين بتحقيق نصوص تراثنا الإسلامي المخطوط، وخرج إلى حيز المطبوعات، بعد أن ظل حبيس أدراج خزائن المخطوطات ، بحيث أصبحت مادته العلمية في متناول أيدي الباحثين والمهتمين بالتراث.

القسم الثاني: الدراسة:

وتنقسم إلى قسمين:

أولا:- دراسة حياة المؤلف وعصره:

تناولت فيه بالبحث والدراسة حياة المؤلف وعصره من خلال تقديم ترجمة للمناوي رحمه الله وفق النقاط الآتية:

١- اسمه، ونسبه، ولقبه.

٢-مولده، ونشأته، وطلبه للعلم.

٣-شيوخه ، وتلاميذه.

٤-مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

٥-مذهبه الفقهي، زهده وتصوفه، مذهبه العقدي.

٦- أسرته ودورها العلمي.

٧- الحركة السياسية، والعلمية في عصره.

ثانيا: دراسة الكتاب:

وصفت نسخة الكتاب المخطوط ، وبيان منهجي في التحقيق والتعليق، وما كان هذا الكتاب سيرى النور لولا فضل الله تعالى ثم ما تقدمه جامعة الكويت من خدمات جليلة للعلم وطالبيه ؛ من خلال توفير الدعم المادي والمعنوي بتشجيع الباحثين لإنتاج البحوث العلمية وإخراجها إلى حيز النور.

* * *

ترجمة المؤلف

عصر المؤلف:

كانت مصر تعيش تحت الحكم العثماني بعد أن أخضعها السلطان سليم بايزيد سنة ٩٢٣هـ ـ لحكمهم وأنهى بذلك عهد حكم المماليك في مصر.

ولد المناوي في عصر السلطان سليمان بن سليم (٩٢٦- ٩٧٤هـ) وتوفي في عهد السلطان عثمان بن أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سلمان بن سليم بايزيد (١٠٢٧- ١٠٣١ هـ)

وكان في وقت مولده على باشوية مصر داود باشا[1].

الحركة العلمية في عصر المؤلف:

وصف المؤرخون النقاد هذا العصر بعصر الظلمة، بالنسبة للحركة العلمية والحالة الدينية، كما وصفوه بعصر الحواشي والشروح.

كانت العلوم الدينية تحتل المكان الأول من اهتمام المنشغلين بالعلوم الشائعة عندهم وهي العلوم النقلية ويراد بها الفقه والحديث والتفسير، والعقلية ويراد بها النحو والبيان واللغة، وكانت تحتل المكان الثاني من عناياتهم.

وكان تأليفهم يدور حول شرح المتون والتعليق على الشروح فصحت تسمية المؤرخين له بأنه عصر الشروح والحواشي[2].

اسمه و نسبه :

هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نور الدين علي بن زين العابدين ابن شرف الدين يحي بن محمد بن محمد بن احمد بن مخلوف بن عبد السلام زين الدين الحدادي ثم المناوي ثم القاهري الشافعي.

١- انظر : تاريخ مصر الحديث ، جرجي زيدان بداية المجلد الثاني .

٢- انظر : الغزو العثماني لمصر – محمد عبد المنعم الراقد ص ٤١٨ .

رسالة في التفضيل بين الملك والإنسان

المولد والنشأة:

ولد المناوي عام ٩٥٢هـ ـ ونشأ وتربى في بيئة علمية على يد والده تاج الدين، فحفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ الحلم، ثم حفظ مختلف الفنون وفق المنهج الدراسي السائد آنذاك حيث تعلم الفقه الشافعي، وألفية ابن مالك في النحو، وألفيتي العراقي في مصطلح الحديث الشريف والسيرة النبوية.

بعد أن أتمها بدأ تحصيل العلوم العالية من التفسير والحديث والفقه والأدب، لكن كان جل اشتغاله بالحديث النبوي على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم[1].

أسرة المناوي:

تعتبر أسرته من الأسر العلمية الأصيلة والعريقة في مجال التعليم الديني، فإن أباه و أجداده كلهم كانوا من العلماء المبرزين في عصورهم، فقد حوت بعض الكتب ألقابا علمية دينية كبيرة لأجداده مثل: الإمام، الشيخ، العلامة .

وكان له ولدان هما زين العابدين الذي توفي في حياته سنة ١٠٢٦هـ وكان عالماً كبيراً وقد تتلمذ على يديه رحمهما الله، وابنه الثاني هو محمد تاج الدين الذي كتب لوالده ترجمة سماها "إعلام الحاضر والبادي" بترجمة عبد الرؤوف المناوي الحدادي[2].

شيوخه :

من الشيوخ الذين درس المناوي عليهم:-

١-والده تاج العارفين حيث قرأ عليه علوم العربية [3].

١- انظر: حسن المحاضرة – للسيوطي (١/ ٤٤٥).

٢- توجد منه نسخة محفوظة بمكتبة عارف حكمت تحت رقم (٣٧٥٨) .

٣-أنظر : معجم المؤلفين – لكحاله (٨ /٣٣) ، و الفهرس- الكتاني (١ / ٥٠٠) .

٢- الشمس الرملي[1]: أخذ عنه التفسير والحديث والفقه، اختصاصه به، به تفقه وبه برع[2].

٣- الشيخ الطبلاوي[3]: أخذ عنه التفسير.

٤- الأستاذ محمد البكري[4]: أخذ عنه التفسير والتصوف.

٥- النجم الغيطي[5]: أخذ عنه التفسير والحديث.

تلاميذه:

من أشهر تلاميذه:-

١- الشيخ سليمان البابلي[6].

٢- الشيخ النور علي الأجهوري[7]

---

١ -هو محمد بن حمزة بن شهاب الدين ، ولد عام ٩١٩هـ وتوفي سنة ١٠٠٤هـ انظر : خلاصة الأثر- المحبي (٣/٣٤٢-٣٤٧) ، الفتح المبين في طبقات الأصوليين - للمراغي (٣/٨٤).

٢ -انظر : إعلام الحاضر والبادي ، وفهرس الكتاني .

٣ -هو محمد بن سالم الطبلاوي ، قال عنه ابن العماد (انتهت إليه الرئاسة في سائر العلوم بعد وفاة أقرانه، توفي ٩٦٦هـ انظر: الشذرات- لابن العماد (٨/ ٣٤٨)، الكواكب السائرة- للغزي (٢/٣٣).

٤- محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن البكري الصديقي ، الشافعي المصري قال عنه ابن العماد (كان آية من آيات الله في الدرس والإملاء ، يحير العقول ، ويذهل الأفكار وكانت إليه النهاية في العلم) توفي سنة ٩٩٣هـ . انظر : الشذرات (٨/٤٣١-٤٣٢) ، والكواكب السائرة (٢/٦٧، ٧٢).

٥- هو محمد بن أحمد بن علي السكندري الشافعي المصري وصفه الكتاني (الإمام، حافظ الديار المصرية ومسندها) توفي سنة ٩٨١هـ وقيل ٩٨٤هـ. انظر: الشذرات (٨/٤٠٦)، والفهرس (٢/٨٨٨-٨٩٠) .

٦ - الفقيه الشافعي ورأس الفتيا بعد وفاة شيخه الزيادي توفي سنة ١٠٢٦ه انظر : خلاصة الأثر (٢/٢١٢- ٢١٣).

٧- هو نور الدين علي بن زين العابدين محمد بن أبي محمد زين الدين الأجهوري - بضم الهمزة وشكون الجيم وضم الهاء - نسبة إلى قرية (أجهور الورد) بريف مصر ، شيخ المالكية في عصره بالقاهرة توفي سنة ١٠٦٦هـ انظر خلاصة الأثر(٣ /١٥٧- ١٦٠) ، وفهرس الكتاني (٢/ ١٩٣) .

٣- مكانته العلمية:

يعتبر العلامة المناوي من كبار العلماء المبرزين في عصره، ومن المؤلفين المكثرين في مختلف الفنون، إلا أنه اشتهر بين أهل العلم بمؤلفاته في الحديث وشروح كتبه، وهو جدير بأن يوصف بأجل الأوصاف نظير ما قام به من خدمة للعلم في العصور المتأخرة .

أطلق عليه كثير من أهل العلم أوصاف متعددة منها ما وصفه به أبو مهدي الثعالبي [1] بأنه " خاتمة الحفاظ ". ووصفه المحبي " الإمام الكبير، الحجة القدوة من غير ارتياب " وقال أيضا: " كان إماما فاضلا جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها، وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره"[2].

مذهبه الفقهي:

هو شافعي المذهب، وقد تقلد النيابة الشافعية في مجالس عصره [3]، و قرأ مختصر المزني، ولقب بشافعي زمانه ، وقيل في تاريخ وفاته: " مات شافعي الزمان ".

ويظهر للمطلع على كتبه إنه لم يكن مقلدا متصلبا، بحيث يرد الأحاديث الصحيحة تعصبا لإمامه قال في مقدمة كتابه (الفتح السماوي) "الله احمد أن جعلني من خدام الكتاب والسنة النبوية، وجبلني بتمييز صحح الحديث وسقيمة، من غير تحامل ولا عصبية "[4].

---

١ -هو عيسى بن محمد الجزائري نزيل مكة ، وبها توفي سنة ١٠٨٢ أو ١٠٨٠ هـ انظر : خلاصة الأثر (٣/ ٢٤٠).

٢ -انظر في ترجمته خلاصة الأثر(٣/ ٢٦٠).

٣- انظر : إعلام الحاضر والبادي - للمناوي ص ٦٠ ، و خلاصة الأثر ص ٥٤

٤ - انظر : مقدمة تحقيق كتاب الفتح السماوي - للسلفي ص ٨٧

عقيدة المؤلف :

تظهر عقيدة المؤلف الأشعرية واضحة في شرحه لأحاديث الصفات المنتشرة في مؤلفاته، حيث يقف موقف الأشاعرة في تأويل الأسماء والصفات.

وقد أورد د. أحمد المجتبى السلفي في ترجمته للمناوي أمثلة عديدة تظهر وضوح هذه العقيدة لديه[1]

مؤلفاته:

أورد محقق كتاب "الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي " للمناوي أحمد مجتبى السلفي في ترجمته للمناوي أكثر من تسعين مؤلفاً للمناوي، تكلم عنها في دراسته معددا المجالات التي تناولها فيها و لعل من أهمها في مجال العقيدة:

١- إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن.

٢- توضيح فتح الرؤوف المجيب بشرح خصائص الحبيب، وهو شرح كبير على خصائص السيوطي.

٣- شرح منازل السائرين.

٤- شرح نظم العقائد لابن أبي شريف.

٥- الصفوة بمناقب آل بيت النبوة.

٦- فردوس الجنان في مناقب الأنبياء المذكورين في القرآن.

٧- مناقب فاطمة الزهراء (أفرده من الصفوة).

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى عليه في الثالث والعشرين من شهر صفر سنة

---

[1] انظر مقدمة تحقيق كتاب الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي للمناوي احمد مجتبى السلفي ص ١٧ – ٤٧ .

١٠٣١ه في القاهرة وقيل في تاريخ وفاته بحساب الجمل: "مات شافعي الزمان ١٠٣١هـ".

مصادر ترجمة المؤلف:

١- إعلام الحاضر والبادي بترجمة عبد الرؤوف المناوي تاج الدين المناوي، مخطوط منه نسخة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

٢- خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر للمجبي ٤١٢/٢.

٣- فهرس الفهارس للكتاني ٥٦٠/٢- ٥٦٢.

٤- الأعلام للزر كلي ٢٠٤/٦.

٥- معجم المؤلفين لرضا كحالة ٢٢٠/٥.

٦- كشف الظنون لحاجي خليفة.

٧- إيضاح المكنون.

٨- هداية العارفين.

٩- البدر الطالع في أعيان القرن التاسع ٣٥٧/١.

دراسات معاصرة في ترجمة المناوي:

١- دراسة قام بها د. أحمد مجتبى السلفي في تحقيقه لكتاب الفتح السماوي بتخريج أحاديث البيضاوي للمناوي ، وهي رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٢- دراسة قام بها د. حسن محمد في تحقيقه لكتاب اليواقيت والدرر للمناوي، وهي رسالة دكتوراة في جامعة القرآن الكريم بالسودان عام ١٩٩٧م.

٣- دراسة موجزة قام بها د. رجاء محمود السامرائي في تحقيقه لكتاب

النقود والمكاييل والموازين للمناوي – دار الرشيد للنشر ١٩٨١م.

٤- دراسة موجزة قام بها د. عبد الحميد صالح حمدان في تحقيقه لكتاب النزهة في أحكام الحمام الشرعية والطبية للمناوي، طبع مطبعة نهضة مصر ١٤٠٨هـ.

٥-دراسة قام بها د. المرتضى الزين أحمد في تحقيقه لكتاب اليواقيت والدرر للمناوي، مكتبة الرشيد، الرياض ١٩٩٩م.

* * *

وصف النسخة المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيق كتاب " رسالة التفضيل بين الملك والإنسان " للمناوي على نسخة خطية وحيدة مصورة تم تصويرها بواسطة مركز المخطوطات في جامعة أم القرى بمكة المكرمة وهي تحمل رقم ١٢٩ عقيدة.

كتب في الورقة الأولى منها: " هذا الحديث رسالة التفضيل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله تعالى وكفى والصلاة والسلام على اشرف الخلق المصطفى وآله وصحبه وأهل الكرم والوفاء وبعد:

فان بعض الإخوان قد برز أمره بأن أكتب ما يحضرني في التفضيل بين الملك والإنسان فسوفت فكرر الطلب وامتثال الأمر كما قالوا من مناهج الأدب فاستعنت بالله وتوكلت عليه وسطرت هذه الموجزة معتذرا بشغل البال وقصر الباع.......... ".

وعدد ألواح هذه النسخة (١٣) لوح في الورقة الواحدة حوالي (٢٣) سطراً وفي السطر حوالي (١١) كلمة.

والنسخة مكتوبة بخط واحد و واضح ليس فيها تآكل ولا خرم و لا آثار للرطوبة والأرضة، وقد نص كاتبها في نهايتها على اسمه وتاريخ نسخه لها حيث قال: " تمت الرسالة الشريفة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على أضعف خلقه وأحوجهم إلى عفوه وفضله العبد يوسف بن علي بن محمد الملاح الحنفي غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه والمسلمين آمين.

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة في الثاني والعشرين من شهر صفر الخير سنة اثنتين وثلاثين وألف من الهجرة النبوية ختمت بخير وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وعلى اله وصحبه وشيعته وحزبه، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

تحقيق اسم ونسبة كتاب (رسالة في التفضيل بين الملك والإنسان)

نَسب هذا الكتاب على لسان غير واحد من أهل العلم منهم المجتبى في خلاصة الأثر[1]، حيث ذكر أن المناوي له كتاب يسمى رسالة في التفضيل بين الملك والإنسان،و كذلك نسبه إليه حاجي خليفة في " كشف الظنون "[2] والكتاني في الرسالة المستطرفة [3]، وأكد نسبته للمناوي ابنه تاج الدين في إعلام الحاضر والبادي بترجمة عبد الرؤوف المناوي الحدادي وسماه كتاب في التفضيل بين الملك والإنسان.[4]

وجاء في الورقة الأولى من نسخة الكتاب المخطوط " رسالة في التفضيل بين الملك والإنسان " تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام خاتمة المحققين والفقهاء المدققين محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي الحنفي.

المنهج المتبع في التحقيق والتعليق

لقد كان المقصود الكلي من التحقيق هو ضبط النص وإخراجه إخراجا علميا على صورته الأصلية ؛حتى يتسنى للعلماء والباحثين الاستفادة من مادته العلمية، مع التعليق على نصوصه تعليقاً ييسر الاستفادة منه، ويقربه إلى إفهام المطلعين عليه، فقد قمت بتوفيق الباري سبحانه بما يحقق هذا المقصود، وما قمت به ينحصر في النقاط الآتية:

١-بذلت وسعي بالبحث عن نَسخ أخرى مخطوطة لكتاب " رسالة في التفضيل بين الملك والإنسان." في مراكز المخطوطات، ولم يتيسر لي الوقوف على نسخ أخرى سوى النسخة الوحيدة التي أشرت إلى أنها

١ – انظر: خلاصة الأثر – للمجتبئ (٢/ ٤١٢)

٢ – انظر : كشف الظنون – حاجي خليفة (٢/ ١٩٣٦)

٣ –أنظر : الرسالة المستطرفة – للكتاني ٢١٦

٤ –انظر : اعلام الحاضر والبادي – للمناوي الإبن ص ٦٠ .

من محفوظات مركز المخطوطات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٢-عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية في المصحف الشريف.

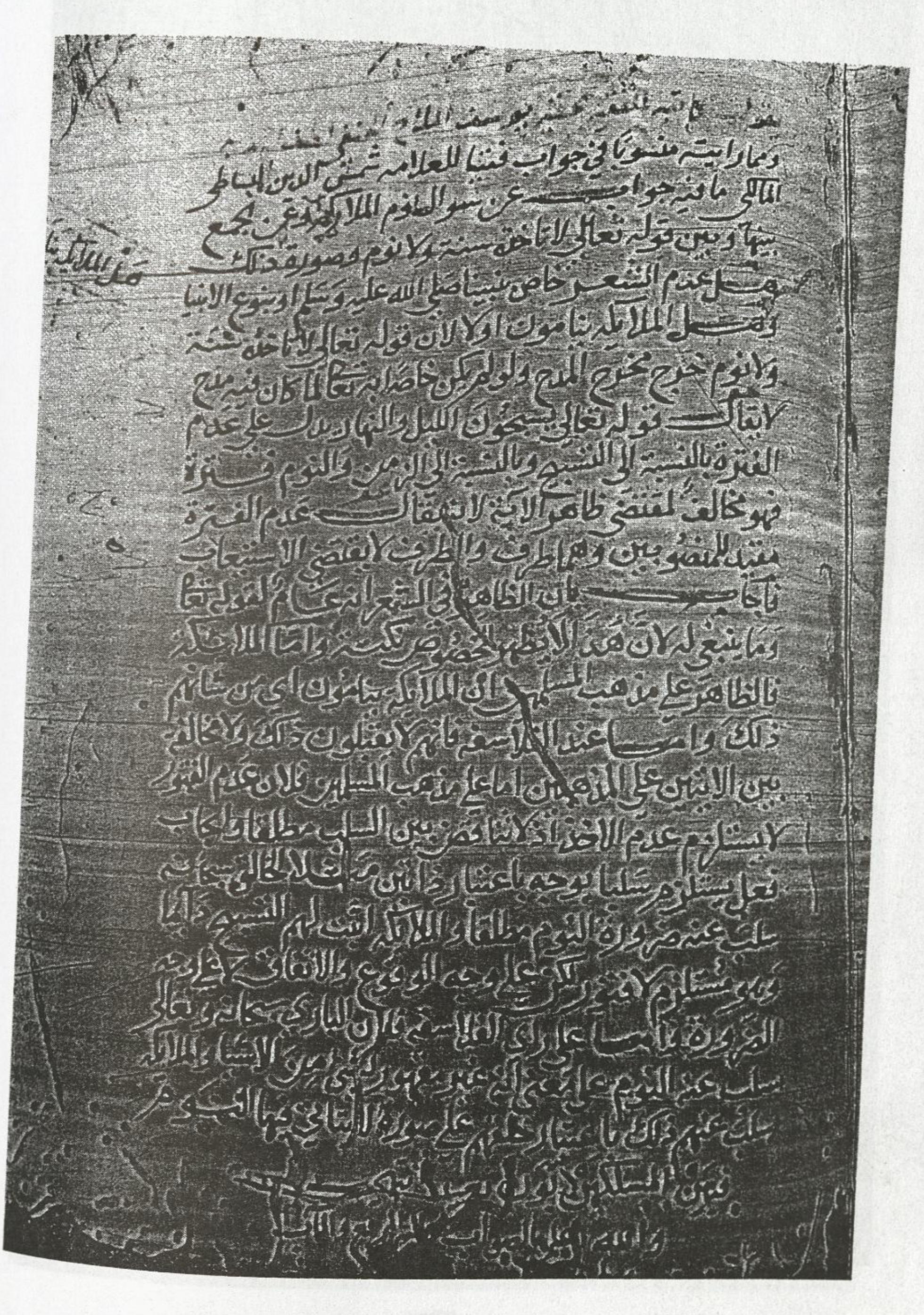
٣-خرجت الأحاديث الواردة في هذا الكتاب مع ذكر أقوال العلماء تصحيحاً وتضعيفاً.

٤-عزوت الأقوال التي ينقلها المؤلف عن العلماء لمصادرها قدر الإمكان.

٥-ترجمت للأعلام غير المشهورين الذين ذكرهم المناوي.

٦-عرفت بالكلمات الغريبة التي تحتاج إلى تفسير وبيان.

هذا أبرز ما قمت به في التحقيق لهذا الكتاب والتعليق على مادته، و أرجو أن يكون في تحقيقه إضافة علمية للمكتبة الإسلامية والحمد لله رب العالمين.



عمل المناوي رحمه الله في رسالة التفضيل بين الملك والإنسان

لم يذكر المناوي رحمه الله منهجه الذي سار عليه في كتابه التفضيل بين الملك و الإنسان، و اكتفى في مقدمته بالإشارة إلى أن " بعض الإخوان قد برز أمره بان أكتب ما يحضرني في التفضيل بين الملك والإنسان " وذكر أنه قد أجاب هؤلاء السائلين بعد تسويف " فسوفت فكرر الطلب وامتثال الأمر كما قالوا من مناهج الأدب فاستعنت بالله وتوكلت عليه وسطرت هذه الموجزة معتذرا بشغل البال وقصر الباع في هذا المجال ".

وإذا درس الباحث المتأمل هذا الكتاب فسيجد إنه على الرغم من صغر حجمه إلا أنه غزير الفائدة في بابه، قد أحسن المناوي رحمه الله في جمع مادته، وتصنيفه للمسائل العلمية الواردة في ثنايا الكتاب بأسلوب موجز سهل ، وعبارة واضحة، ولم يكن إيجازه إيجازا مخلا، استعرض فيه أقوال العلماء ومناقشاتهم لبعض المسائل والتعاريف والألفاظ استعراض الناقد البصير العالم بخفايا ودقائق الأمور. وقد رتب المناوي رحمه الله كتابه هذا على ثلاثة أبواب خصص الباب الأول منه للتعريف اللغوي والاصطلاحي للنبي والرسول ،و خصص الباب الثاني في بيان شروط النبوة و الرسالة وخصص الباب الثالث في التفضيل بين الملائكة والبشر، وهو المقصود من تأليف هذا الكتاب وجعله على ثلاثة فصول وختمه بخاتمة.

النص المحقق

هذا الحديث رسالة التفضيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى وكفى والصلاة والسلام على أشرف الخلق المصطفى وآله وصحبة أهل الكرم والوفاء.

وبعد.

فإن بعض الإخوان قد برز أمره بأن أكتب ما يحضرني في التفضيل بين الملك والإنسان فسوّفتُ فكرر الطلب. وامتثال الأمر كما قالوا من مناهج الأدب فاستعنت بالله ، و توكلتُ عليه، وَسَطرت هَذه الموجزة مُعتذرا بشغل البال وقصر الباع في هذا المجال، و رتبتها على ثلاثة أبواب ؛الأول في تعريف النبي والرسول والملك والنبوة والرسالة، الثاني في شروط النبوة والرسالة، الثالث في التفضيل بين الملائكة والبشر، وهو المقصود بالوضع و فيه ثلاثة فصول،وختمتها بخاتمة.

ونسال الله حُسْن الخاتمة

الباب الأول

وفيه فصول

الأول في تعريف النبي والرسول

النبي لغة: هو المنبئُ أيّ المخبر قال الزمخشريّ[١]: استنباته استخبرته، ونَبئَ رَسُول الله واستنبني، ورَجُل نابئٌ، وَسَبيل نابئٌ جاء من حيث لا يدري، واشتقاقه مِنَ النبأ فهو حينئذ مهموز، لكنه يخفف ويدغم، وهذا المعنى حاصل لمن اشتهر بهذا الاسم لإنبائه عن الله تعالى. وقيل: مشتق من النبوة وهي الارتفاع، يقال: تنبأ فلان ارتفع وَعلا، وهو موَصُوف بذلكَ لعلو شانه وَسُطوع برهانه. وقيل: من النبيئ وهو الطريق لأنه وَسيلة إلى الله تعالى كذا في المواقف وشرحه[٢].

وقال الراغب[٣]:النبي يصح كونه فعيل بمعنى فاعل كقوله تعَالى: "نَبئ عبادي إني أنا الغفور الرحيم" (الحجر:٤٩). وكونه بمعنى مفعول كقوله:" نبأني العليم الخبير" (التحريم:٣). والنبأة الصوت الخفي وتَنَبّأ فلانٌ ادعى النبوة وهو من النبوة الرفعة، وسُمى به لرفعه بحكمه عن جميع الناس المدلول عليه بقوله تعالى:" ورفعناه مكانا عليا" (مريم:٥٧). والنبي بغير همز أبلغ منه بهمز[٤].

١- محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري من أئمة العلم والتفسير واللغة والأدب والاعتزال ولد في زمخشر وجاور في مكة زمنا فلقب بجار الله توفي بخوارزم سنة ٥٣٨هـ

انظر : وفيات الأعيان – ابن خلكان (٨١/٢) ، ولسان الميزان – ابن حجر العسقلاني (٤/٦).

٢- انظر : المواقف في علم الكلام – للايجي ص ٣٣٥ ، وشرح المواقف – للجرجاني (٢٤١/٨).

٣- الحسين بن محمد أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب ، أديب مفسر لغوي ، صاحب المفردات وغيرها ، توفي سنة ٥٠٢هـ

انظر : وكشف الظنون – حاجي خليفة (٣٦/١) .

٤- انظر: مفردات ألفاظ القرآن _ الراغب الأصفهاني ص ٧٩٠

قال: والنبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم، أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأمور الثلاثة، وحق الخبر الذي يقال له نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله وَالرسول، ولتضمن النبأ مَعنى الخبر يقال: أنبأته به كأخبرته به ولتضمنه معنى العلم، قيل: أنبأته كذا كأعلمته كذا " قل هو نبأ عظيم " (ص ٦٧) وقوله: " إن جاءكم فاسق بنبأ " (الحجرات ٦) تنبيه انه إذا كان الخبر شيئا عظيما فحقه أن يتوقف عليه، وإن علم أو غلب ظن صحته حتى يعاد النظر فيه و يكرر ويتبين فضل تبين، ويقال: أنبأته ونبأته و نبأته أبلغ كما أفاد قوله تعالى: " قال من أنبأك هَذا قال نبئني العليم الخبير " (التحريم ٣) حيث لم يقل أنباني بل عَدلَ إلى نبأ الذي هو أبلغ تنبيها على تحققه وكونه مِنَ قبل الله انتهى[1] .

والرسول من الرسل وهو الانبعاث على تُؤَدَة يقال:ناقة رَسْلَة سَهلة السير، وإبلٌ مراسيل منبعثة انبعَاثا سهلا، ومنه: الرسول المنبعث[2] . قال الراغب: وَرُسل الله تارة يراد بها الملائكة وتارة يراد بها الأنبيَاء فمن الأول " إنا رُسل رَبك " (هود:٨١) ومن الثاني "جاءتهم رُسلهم بالبينات " (إبراهيم ١٤) "يا أيها الرسل كلوا مِنَ الطيبات " (المؤمنون:٥١) [3] هَذا هو المعنى اللغوي، وأما العُرفي: فالنبي آدمي، ذكر، أوحي إليه بشرعي وان لم يؤمر بتبليغه، فان أمر به فرسُول، هذا هو المشهور والمتداول على السنة الفقهاء، لكن قال الكمال ابن الهمام[4]:

١- انظر : المصدر السابق ص ٧٨٩

٢- انظر : المصدر السابق ص ٣٥٢

٣- انظر : المصدر السابق ص ٣٥٢

٤- هو محمد بن عبد الواحد كمال الدين بن الهمام، من علماء الحنفية عارف بأصول الديانات، والتفسير، والفرائض، والفقه، توفي بالقاهرة سنة ٨٦١ هـ.

انظر: شذرات الذهب – لابن العماد (٢٨٩/٧) ، و بغية الوعاة – للسيوطي ص ٧٠ .

إن المحققين كالزمخشري والعَضد[1] والتفتازاني[2] والشريف الجرجاني[3] علَى تَرادفهما وأنه لا فارق إلاّ الكتاب.

قال الزمخشري: الرسول مِنَ الأنبيَاء مَنّ جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي غيرالرسول مَنّ لم يُنزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة مَنْ قبله انتهى[4].

وقال في المقاصد: النبي إنسان بَعثه الله لتبليغ ما أُوحي إليه، قال وكذا الرسُول[5].قال الكمال بن أبي شريف[6] :هَذا ينبئُ عَن اختياره للقول بترادفهما وفي شرح العقائد بَعد ما ذكر انه لاَ يقتصر علي عدد في تسمية الأنبياء ما نصه: "وكلهم كَانوا مُبلغين عن الله لان هَذَا معنى النبوة والرسَالة" انتهى[7] . قال الكمال: "هَذَا مَبني علي أن النبي وَالرسول بمعنى واحد". وفي المواقف

١-هو عبد الرحمن بن احمد ، أبو الفضل عضد الدين الإيجي ، صاحب المواقف في علم الكلام ، عالم بالأصول والعربية من أهل ايج بفارس ، توفي سنة ٧٥٦ هـ

انظر : بغية الوعاة ص ٢٩٦ ، و الدرر الكامنة (٣٢٢/٢) .

٢–هو مسعود بن عمر التفتازاني ، سعد الدين ، من أئمة العربية والبيان والمنطق ، ولد بتفتازان من بلاد خرسان ، وتوفي بسمرقند سنة ٧٩٣هـ .

انظر: مفتاح السعادة – طاش كبري زاده (١٦٥/١) ، والدرر الكامنة (٣٥٠/٤) .

٣- هو محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني فيلسوف ، عالم بالعربية والكلام ، له نحو خمسين مصنفاً منها " التعريفات " و " شرح مواقف الإيجي " توفي سنة ٨١٦هـ بشيراز .

انظر: الفوائد البهية – للكنوي ص ١٢٥، و الضوء اللامع – للسخاوي (٣٢٨/٥)

٤- انظر : الكشاف – للزمخشري (٣٧/٣)

٥– انظر : شرح المقاصد – للتفتازاني (٥/٥) .

٦– محمد بن محمد، كمال الدين .أبو المعالي، المعروف بابن أبي شريف المقدسي، من فقهاء الشافعية ولد في بيت المقدس وبها توفي سنة ٩٠٦هـ.

انظر : شذرات الذهب (٢٩/٨)، والأعلام للزركلي (٥٣/٧).

٧- انظر : شرح العقائد النسفية – للتفتازاني ص ٨٩ .

وشرحه في السَمعيات:" النبي مَنْ قال الله أرسلتك إلى قوم كذا، أو إلى الناس جميعًا،أو بلغهمُ عَني ونحوه،و لا يشترط في الإرسال شرط." [1] وفيه في شرح الديباجة:" الرسُول نبي معه كتاب والنبي غير الرسُول مَنْ أتى نبي لا كتاب معه بل أمر بمتابعة شرع مَنْ قبله كيُوشع" [2] انتهى. قال المولي حَسَن الرومي [3]:" اتبع يعني الشريف صاحب الكشاف في تفسير الرسُول واعتراضه بأنه لا يوافق المنقول في عدد الرسل والكتب، إذ الكتب نحو مائة والرسُل أكثر من ثلاثمائة مَدفوع بان مُراده مَنْ مَعَه كتاب أن يكون مأمورا بالدعوة إلى شريعة كتاب، سَوَ أنزل عليه أو علي نبي آخر.قال:"والأقرب أن الرسول مَنْ أنزل عليه كتاب أو أمر بحكم لم يكن قبله وإن لم ينزل عليه كتاب، وَالنبي أعم لما في ذلكَ مِنَ النقص عما أورد على الأول منْ أنه يلزم عليه أن يكونَ مَنْ بعث بدُون كتاب ولا مُتابعة مَنْ قبله خارجًا عن النبي وَالرسُول مَعًا اللهم إلا أن يبين انه لا وجود لمثله" [4] قال الفاضل الشيباني في شرح الفقه الأكبر:" الرسُول مَنْ بُعث بشرع مجددٍ والنبي يَعمه، وَمَنْ بُعث لتقرير شرع سَابق كأنبياء بني إسرائيل الذين بينَ مُوسَى وعيسَى، وَمن ثم شبّه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم، فإن قيل كيف يصح هَذا وقد قال تعالى: " ولَقد أتينا مُوسى الكتاب وقفينا مِنْ بعده بالرسُل " (البقرة:٨٧) وقد بَيّن ذلك في

١-انظر : المواقف ص ٣٣٧، وشرح المواقف(٣٤١/٨) .

٢- انظر : شرح المواقف (٢١/١) .

٣-حسن بن محمد شاه الفناري ، يقال له ملا حسَن جلبي ، ولد ونشأ وتوفي ببلاد الروم " تركيا " سنة ٨٨٦هـ ، برع في المعقولات والأصول ، له تصانيف كثيرة منها " حاشية على شرح المواقف للجرجاني ".

انظر: الضوء اللامع (١٢٧/٣) ، وهدية العارفين – للبابانى (٢٨٨/١) .

٤-حاشية الجلبي على شرح الموقف ٢١/١

الكشاف بالأنبيَاء بين مُوسَى وعيسى [1]، قلنَا لعل المراد بالرسُل في الآية المعنَى اللغوي.

وقال العارف الكبير ابن عَطا الله السكندري [2]:" مِن الناس مَنْ ظنّ أن النبي هُوَ الذي نبئَ في نفسه، والرسول هو الذي أرسل لغيره،وليسَ الأمر على ما ظن، ولو كان كذلك فلماذا خص الأنبياء دون الرُسُل بالذكر في قوله:" علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"" [3].

قال:" ومما يدل على بطلان هذا المذهب قوله تعالى: " وما أرسلنا مِنْ قبلك من رَسُول ولا نبي" (الحج:٥٢) الآية فدل على أن حكم الإرسال يعمهما، وإنما الفرق أن النبي لا يأتي بشريعة جَديدة وإنما يجئ مقررًا لشرع مَنْ قبله، ولهذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل" أي يأتون مقررين وَمؤكدين وآمرين بما جئتُ به لا بشرع جَديد [4]" انتهى.

وقال الصَفوي [5]: "اختار بعض المحققين أن الرسُول نبيٌ أتاه الملكُ،وقيل جبريل بوحي لا بنوم وَالهام، والنبي أعم، وَاعترض بعدَم شموله لما لم يكن بواسطة كما هو ظاهر المنقول في مُوسَي قبل نزول الملك عَلَيه،

١-الكشاف (٨٠/١) .

٢-احمد بن محمد ، أبو الفضل ، ابن عطاء الله الاسكندري ، من أئمة المتصوفة ، توفي بالقاهرة سنة ٧٠٩هـ .

انظر: الدرر الكامنة (٢٧٣/١)، وكشف الظنون ص ٦٧٥.

٣- الحديث لم يثبت جاء في الزرقاني على المواهب اللدنيه (١٥٨/٦) أن هذا الخبر قال عنه الحافظ ابن حجر ، ومن قبله الدميري ، والزركشي أنه لا أصل له .

٤- سبق تخريجه .

٥- عيسى بن محمد ، أبو الخير ، المعروف بالصفوي ، متصوف ، من الشافعية ، هندي الموطن ، توفي سنة ٩٥٣هـ .

انظر: شذرات الذهب (٢٩٧/٨) ، والأعلام (١٠٨/٥) .

ودَفعَهُ بأنه يصدق عليه أنه أتاه في وقتٍ مّا لا بتجلي، إذ يلزم أن يكونَ النبي قبل البعثة رَسُولاً حقيقة ولا قائِل به، وقد أفاد ما قرره المحققان التفتازاني وَالجرجاني أن مجرد الإيحاء لا يقتضي نبوة، إنما المقتضى لها إيحاء بشرع وتكليف خاص، فخرَجَ مَنْ بعث لتكميل نفسه كزيد بن نفيل[1] وأضرابه، ومن ثم قيل: يعتقد كثير أن النبوة مُجَرد الوحي وهو باطلٌ،وإلا لزم نُبوة مريم وآسيَه وَالتزامه شاذ، وما أورد على التفتازانيْ مِنْ أن قوله النبي مَنْ بُعث لتبليغ ما أوحي إليه انه لا يشمل المبعوث لتبليغ ما أوحي لغيره كما في بني إسرائيل، أجيب بأنه مأمور بتبليغ ذلك،وهو مما أوحي إليه، أو أن شرع غيره أشير إليه فيما أوحي إليه في الجملة.

قال بعضهم ولم يشتغل الأكثر بتعريف النبوة والرسالة بل النبي والرسُول وقد عرفها الأسد بن الأسد إمام الحرمين[2] في قوله:" النبوة لا تكون عن قوة في النفس كما قاله الحكماء، ولا عن رياضة يحصُل بها الصفَا فيحَصُل التجلي في النفس كما قاله بعض الصوفية، ولا عن قربان الهَياكل السبعة كما قاله المنجمون، ولا هي بالإرث كما قاله أهل البيت، ولا هي علم المرء بربه كما ظن لأنه عام، ولا علم النبي بكونه نبيا لتأخره بالذات عنه، بل هي صفة كلامية، وهي قول الله هو رَسُولي، وتصديقه بالأمر الخارق إلى هُنا كلامه".[3]

١- زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي ، أحد الحكماء ، لم يدرك الإسلام ، وكان يكره عبادة الأوثان ، ولا يأكل مما ذبح عليها ، توفي قبل البعثة بخمس سنين .

انظر: الأغاني – للأصفهاني (١٥/٣) ، وخزانة الأدب – للبغدادي (٩٩/٣) .

٢- عبد الملك بن عبد الله ، أبو المعالي ، ركن الدين ، الملقب بإمام الحرمين ، من كبار علماء الشافعية ، جاور في الحرمين ، توفي في بشابور سنة ٤٧٨هـ .

انظر: الأنساب – للسمعاني (٣٥٩/٣) ، و المنتظم – لابن الجوزي (١٨/٩) .

٣-انظر : الإرشاد ص ٣٥٥.

وقال الراغب:" النبوة قيل: هي سفارة العبد بين الله وبين خلقه،وقيل: إزاحة علل ذوي العُقُول فيما يقصر عن عقولهم من مَصَالح المعاش والمعاد، وجمَع بعض المحققين بينهما فقال: سفارة بين الله وبين ذوي الألباب لإزاحة عللهم فيما يحتاجُونه من مصَالح الدارين، وهذا حَدّ كامل جامعٌ بين المبدأ في المقصُود بالنبوة وهي الخصُوُصية ،وبين منتهاها وهي إزاحة عللهم "[1]انتهى.

وقال في المواقف وشرحه:"لا يشترط فِي الإرسال شرط من الأعراض، والأحوال المكتسبة بالرياضات،وَالمجاهَدات في الخلوات والانقطاَعات، ولا استعداد ذاتي مِنْ صَفاء الجوهر، وذكا الفكر كما زعمه الحكماء ؛ بل الله سبحانه يختص برحمته من يشاء، فالنبوة رحمة وَمَوهبة متعلقة بمشيئته فقط، وهو اعلم حيث يجعل رسَالاته، هَذا بناءً عَلَى القول بالقادر المختار الذي يفعل ما يشاء ويختار مَا يُريد.

وأما الفلاسفة فقالوا النبي مَنْ اجتمع فيه خواص ثلاث يمتاز بها عَن غيره: احدها: أن يكون له اطلاع علي المغيبات الكائنة والماضية والآتية، ولا يُستنكر هَذا لأنّ النفوس الإنسانية مجردة في ذاتها عن المادة غير حالَةٍ فيها، ولَها نسبة إلى المجردَات العقلية والنفوس السماوية المنتقشة بصورما يحدث في هَذا العالم العُنصري الكائن الفاسد لكونها مبادئ له فقد تتصل النفس الناطقة بتلك المجردات اتصالا مَعنويا، وَينجذب إليها بواسطة الجنسية، ويشاهد ما فيها من صور الحوادث فيرسم فيها من تلكَ الصور ما تستعد هي لارتسامه كمرآة حاذى بها مرآة أخرى فيها نفوس فينعكس منها إلى الأولى ما يقابلها، ويؤيده رؤية النفوس البشرية وماهي عليها منَ التفاوت في إدراك المعاني العقلية في طرفي الزيادة والنقص تفاوتا متصاعِدًا إلى النفوس

١- انظر : المفردات ص ٧٨٩.

القدسية التي تدرك النظريات بالحدس في اقرب زَمن من غير غلط،ومتنازلة إلى البليد الذي لا يفهم، وكيف وقد يوجد ذلكَ للمرتاضين،قلنا الاطلاع علي جميع المغيبات لا يجب للنبي اتفاقا،وَالبعض لا يختص به النبي كما اعترفتم به وَباقي المقدمات لاَ تُفيد إلا ظنا ضَعيفا.

ثانيها: أن يظهرَ منه أفعال خارقة للعَادة لكون هَيُولي [1] العَناصر مُنطبقة له منقادة كنفس فانه انقياد بدَنه لنفسه، ولا يستنكر ذلكَ فإنّ النفوس الإنسانية مؤثرة في المواد البدَنية، كما يشاهد منَ الاحمرار و الاصفرار والسخن عند الخجل وَالوجل وَالغضَب، فلا يبعد أن تقوى نفس النبي حتى يحدث بإرادته في الأرض زلازل وأمطار ورياح وحرق وغرق وهلاك أشخاص ظالمه وخراب مُدُن فاسدة، وكيف يشاهد مثلها من أهل الرياضة والإخلاص،قلنا:هذا مبني علي تأثير النفوس في الأجسام وهو باطلٌ، إذ لا مؤثر في الوجود إلا الله، مع ذلكَ لا يختص بالنبي كما اعترفتم به.

ثالثها: أن يري الملائكة "مصورة [2]" ويسمع كلامهم وَحيا،ولا يستنكر أن يحصل له في يقظته ما يحصل للنائم في نومهِ لتجرد نفسه عن الشواغل البدَنية، وَسُهولة انجذابه إلى عالم القدس، وَربما صَار ملكة تحصل له بأدنى توجه، قلنا:هذا تلبيسٌ علي الناس ولا يقولون بمعناه لأنهم لا يعترفون بملائكة يُرَونَ؛ بل الملائكة عندهم عقول مجردة ولا كلام لهم يسمع، لأنه من خواص الأجسام، ثم أنهم قالوا مَنْ اجتمعت فيه هذه الخواص انقادت لها النفوس البشرية"[3].

١-شيء قابل للصور مطلقاً من غير تخصيص بصورة معينة ، ويسمى بالمادة الأولية ، وهو على أربعة أقسام ، وهو على الإطلاق الهيولي الأولي .
انظر: المعجم الفلسفي ص ٣٧٠.

٢-ما بين قوسين من شرح المواقف (٢٤٤/٨) وفي الأصل "مصون ".

٣- انظر: شرح المواقف (٢٤٣/٨ – ٢٤٤)

فصل في الملائكة

اعلم أن الملائكة عند علية المسلمين أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، وعند الحكماء جَواهر مجرده مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وهي قسمان:–

قسم: شأنهم الاستغراق في معرفة الحق وَالتنزه عَن الشغل بغيره.

وقسم:يدبر الأمر من السَماء إلى الأرض على ما سبق به القَضاء، وَجَرى به القلم، (لا يعصونَ الله ما أمرهم وَيفعلون ما يؤمرون) (التحريم:٦) وسموا أرواحا للمناسبَة بينهم وبين أرواح الناس في إلقاء الذكر في روعهم، والاتصال بهم والسَريَان في أجسادهم كسَريان الروح، وهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة كما في عقائد النسفي [1] وتبعه في المقاصد [2] وَغيرهما إذ لم يرد به نقلٌ ولم يدل عليه عقل.

وما زعمه عبدة الأجسام من أنهم بنات الله محالٌ وباطل [3] قال بعض شراح الشفا:" وإطلاق الأنوثة عليهم كفرٌ لأنه نقصٌ بخلاف الذكورة ورأيت في تذكرة ابن عبدالهادي [4] بخطه عن يحي بن أبي كثير [5]: أن الملائكة صمّد لا أجواف لهم.

١- انظر : شرح العقائد النسفية ص ٩٠ .

٢- انظر : شرح المقاصد(٦٢/٥).

٣- انظر : شرح العقائد النسفية ص ٩٠ .

٤- يوسف بن حسن المعروف بابن عبد الهادي الصالحي ، علامة متفنن من فقهاء الحنابلة ، له تصانيف كثيرة منها " تذكرة الحفاظ " توفي سنة ٩٠٩هـ .
انظر: الضوء اللامع (١٠/ ٣٠٨) ، وإيضاح المكنون – للبغدادي (٢٢/١) .

٥- يحي بن صالح الطائي مولاهم ، أبو نصر ابن أبي كثير ، عالم أهل اليمامة في عصره ، من ثقات المحدثين ، توفي سنة ١٢٩هـ .
انظر: تاريخ الإسلام- الذهبي (١٧٩/٥) ، وخلاصة التذهيب – للخزرجي ص ٣٦٧ .

تنبيه قال الكمال بن أبي شريف: هل الملائكة تَنمو كما ينمو غيرهم من الحيوانات؟ ظواهر الأحاديث دَالة علَى أنها لا تنموا بل تخلق ابتداءً علي الصورة التي تموت عليها "انتهى.

وتَردده يؤذن بأنه لم ير في ذلك شيئاً وهو عجَبٌ من هَذا الإمام المطلع مع استفاضة ذلك بين المتكلمين تبعا للحكماء، بل الإشارة إليه في أشهر كتاب كان في نظر الكمال وهو المواقف، وتقدّمه لذلك الإمام الرازي في كتاب الأربعين وغيره[1].

١- انظر : المواقف ص ٣٦٦، والأربعين في أصول الدين ص ١٧٧.

الباب الثاني

في شروط النبوة

وهي ثمانية :-

الأول: الذكورة لأن الأنوثة وَصف نقص فلا تكون المرأة نبيه وَإن كملت،وَسَمَتْ رتبتها كمريم وآسيه علي الصَحيح فيهمَا ومقابله شاذ.

الثاني: كونه حال الإرسال أكمل أهل زَمَنه غير الأنبياء عقلا وخلْقًا بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام،وخرج بقولنَا حَال الإرسال عقدة لسَان موسي عليه الصلاة والسلام، فإنها كانت قبل الإرسال ثم أزيلت بدعوته عند الإرسال بقوله: (احلل عقدة من لسَاني يفقهوا قولي)(طه:٢٧)وبلاء أيوب وعمي نحو يَعقوب عليهما الصلاة والسلام لأنهما حادثان بَعد الإرسال،على أن عَمي يعقوب قيل أنه لم يكن حقيقيا.

وخرج بقولنا غير الأنبياء الأنبياء، فلا يشترط أن لا يكون في عَصره نبي أكمل منه أو مثله، وإلا لزم عدَم جواز إرسال نبيين في عَصْر واحد، وهو منتفٍ بنحو مُوسى وهارون عليهما الصلاة والسلام الثابت إرسالهما مَعًا بالنص القرآني.

الثالث: كونه أكملهم فطنة وأذكاهم ذهنا.

الرابع:كونه أقواهم رأيا كما هو مقتضى كونه سَائس الجميع ومَرجعهم في المشكلات، ومَلاذهم في المعضلات.

الخامس: كونه سليمًا من زنا الآباء وغمز الأمهات، أي الطعن فيهن بإشاعة ذكرهن بما لا يليق من أمر الفروج.

السادس: كونه سليماً مِنَ العيُوب المنفرة، كبَرصٍ وَجُذام وعتَه وبلَه.

السابع: كونه سليما مِنْ قلة مَرؤة، كأكل بطريق بخلاف الشرب فيه على ما فيه.

الثامن كونه معصوُماً مِنَ الكفر وَمِنْ جميع الكبائر.

الباب الثالث

في التفضيل بين الملائكة والبشر

وفيه فصول:

الأول

في التفضيل بين الأنبياء والملائكة

أعني السماوية كما قيده به الإمام الرازي في الأربعين[1] وغيره أما الأرضية فلا خلاف في تفضيل الأنبياء علَيهم كَما أشار إليه في المواقف وغيرها[2]، وفيه مذاهب:-

أحدها:الوقف لتعارض الأدلة وتصادم الترجيح وَعَليه استقر رأي الكيا الهرّاسي [3]، وَاليه يميل كلام الإمام البيهقي، فانه لما حكي الخلاف ختمه بقولِه:" ولكل منَ القَولين وجه، والأمر سَهل ولَيس فيه إلا معرفة الشيء علَى ما هو به" انتهى.

ونقله الكلاباذي[4] عن الجمهور حيّث قال في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف ما نصه:"سكت الجمهور منهم عن تفضيل الرسُل علي الملائكة،

١-انظر : الأربعين في أصول الدين – للرازي ص ١٧٧.

٢-انظر : المواقف ص ٣٦٧، والمصدر السابق.

٣-أبو الحسن علي بن محمد الهراسي ، المعروف بالكيا ، ومعناه بالأعجمية الكبير القدر ، من أبرز تلاميذ الجو يني بعد الغزالي ، توفي سنة ٥٠٤هـ.
انظر : سير أعلام النبلاء – للذهبي (١٩/٣٥٠) ، وتبيين كذب المفتري – لابن عساكر ص ٢٨٨ .

٤-محمد بن إبراهيم ، أبو بكر الكلاباذي ، من أهل بخارى ، من حفاظ الحديث ، توفي سنة ٣٨٠هـ .
انظر : كشف الظنون ص ٢٢٥، والفوائد البهية ص ١٦١.

وعكسه وقالوا:"الفَضل لمن فَضلّه الله تعالى ليسَ ذلك بالجوهر ولا بالعَمل، ولم ير واحَد الأمرين أوجَب منَ الآخر بخبر ولا عقل وَفضل بعضهم الرسُل وبعضهم الملائكة" [1] انتهى. وصوّبه الإمام علاء الدين القونوي [2] فقال:" أسلَم الأقوال مَا نقله الكلاباذي عن جمهور الصوفية وهو السُكوت عن المفاضلة بينهما وَالسَلامة لا يَعدلها شيء، فأدلة الجانبين متجاذبة ولَيسَت المسألة مما كلفنا الله بمعرفة الحكم فيها، فالصَواب تفويض علمها إلى الله تعالى، وَاعتقاد أن الفضل لمن فضلَه الله سبحانه وتعالى،ليس الفضل بشرف الجوهر ليقال الملائكة أفضل، لأن جوهرهم أشرف فإنهم خلقوا مِنْ نور،والبشر خلقوا مِنْ طين، وذلك لأن أصل إبليس وجوهره وهو النار اشرف وأصفى من جَوهر البشر، وَمَا أفاده ذلكَ فضلا، ولا بالعمل ليقال عمل الملائكة أكثر فيثبت لهم الفضل،لان إبليس أكثر عملا وليسَ بأفضل" ومعنى قوله " أي" الكلاباذي: "ولم يُرْوَ أحد الأمرين أوجب من الآخر" أنهم لم يروْا أن تفضيل أحد القبيلين أوجب من تفضيل الآخر، لما ذكره من تَجاذب الأدلة مِنَ الجانبين، وانتفاء مَا يُرجح أحدهما من جهة النقل وَالعقْل إلى هنا كلامه. وقال الراغب:" قد اختلف في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء، ولَيسَ للخوض في هذا كبير غنية، ولولا أن الناسَ تكلموا فيه ما ذَكرته".

وقال السبكي [3]:" هَذه المسألة وهي تفضيل البشر على الملك ليستَ

١-انظر : التعريف لمذهب أهل التصوف – للكلاباذي ص ٨٢.

٢-علي بن إسماعيل القونوي ،أبو الحسن ، علاء الدين ، من فقهاء الشافعية ، واحد قضاة الشام المعدودين ، توفي سنة ٧٢٩هـ .
انظر : البداية والنهاية – لابن كثير (١٤/١٤٧) ، الدرر الكامنة (٣/٢٤) .

٣-علي بن عبد الكافي السبكي الأنصاري الخز رجي ، أبو الحسن ، تقي الدين ، والد التاج السبكي صاحب الطبقات ، ولي قضاء الشام ، توفي سنة ٧٥٦هـ بالقاهرة .

مما يجب اعتقاده وَيَضر الجهل به، وَلو لقي الله سَاذجاً من المسألة بالكلية لم يكن عليه إثم، فما هي مما كلف الناسُ بمعرفته "انتهى. قال ولده التاج [1]: "فالناس ثلاثة: رَجُل عرف أن الأنبياء أفضل منَ الملائكة وَاعتقده بدليل وآخر جهل هذه المسألة ولم يستقل بها بالكلية، وَهَذانِ لا ضرر عليهما،وثالث قضَى بانّ الملك أفضل وَهَذا علي خطر، وهل نقول أن مَنْ قضَى بتفضيل الأنبياء على خَطرٍ فيكون السَّاذج أسلم أو لا؟ الذي كنتُ افهمه منَ الوَالِدِ أن السلامة في السكوت عَنْ هَذه المسألة وان الدخول في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين علي الله من غير وُرُود دليل قاطع دخول في خطر عظيم،وحكم في مكان لسنا أهلا للحكم فيه،وقد جاءت أحاديث تحسمُ بإشارتها مَادّة الدخول في ذلك،فان قوله عليه الصلاة والسلام:"لا تفضلوني على يونس" [2] ونحوه، ونحن على قطعٍ بأنه أفضل من يُونس، ولم يختلف في ذَلكَ احد لعلّه إشارة إلى أنكم لا تدخلون في أمر لا يعنيكم، وَمَا للسُوقة وَالدخول بين الملوك،وَاعني بالسُوقة في هَذا أمثالنا، وَبالملوك الأنبياء والملائكة" انتهى كلامه.

المذهب الثاني أن لا يطلق القول بتفضيل الملك على النبي ولا عكسه، بل يقال أجساد الملائكة أفضل، وأرواح الأنبياء أفضل، وهذا ما علمه سلطان العلماء العز بن عبدالسلام [3] حيث قال:" اعلم إن الأجساد مساكن الأرواح،

انظر : طبقات الشافعية – للسبكي (٦/١٤٦) ، وحسن المحاضرة – للسيوطي (١/١٧٧) .

١-عبد الوهاب بن علي السبكي ، أبو نصر ، تاج الدين ، كبير قضاة الشام ، المؤرخ ، الباحث ، ولد بالقاهرة ، وانتقل مع والده إلى دمشق ، وبها توفي سنة ٧٧١ هـ .

انظر : الدرر الكامنة (٢/٤٢٥) ، وحسن المحاضرة (١/١٨٢) .

٢- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء -باب رقم ٣٥ – (٤ / ١٢٦) بلفظ (ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) ومسلم في كتاب الفضائل – باب ذكر يونس عليه السلام (٤ / ١٨٤٦) .

٣-عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، سلطان العلماء ، فقيه شافعي ، بلغ رتبة الاجتهاد ، ولد ونشأ في

للساكن والمسكن أحوال أحدها: أن يكون الساكن اشرف من المسكن. الثاني: عكسه. الثالث: أن يستويا في الشرف فلا نفضل أحدهما على الآخر. فإذا كان الشرف للساكن فلا مبالاة بخساسة المسكن، وإذا كان الشرف للمسكن فلا يتشرف به الساكن، والأجساد مساكن الأرواح، وقد يختلف في التفضيل الواقع بين الملك والبشر، فإن فاضل بينهما مُفَضل من جهة تفاوت الأجساد التي هي مساكن الأرواح، فلا شك أن أجساد الملائكة أفضل وأشرف من أجساد البشر المركبة من الأخلاط، وإن فاضلَ بين أرواح البشر وأرواح الملائكة مع قطع النظر عن الأجساد التي هي مساكن الأرواح، فأرواح الأنبياء أفضل من أرواح الملائكة، لأنهم فضلوا عليهم من وجوه إلي هنا كلامه، لكنه صرح بعد ذلك في عدة مواضع بتفضيل الأنبياء على الملائكة مطلقا".

والمذهب الثالث: لا نطلق القول بالتفضيل أيضا بل لابد من تفصيل. وهو أن الرسُول مِنَ البشر أفضل من الملك باعتبار الرسالة فقط، وعزاه ابن المنير [1] إلى أهل السنة فقال:" مذهب أهل السنة أن الرسول أفضل من الملك باعتبار الرسَالة لا باعتبار عُموم الأوصاف البشرية، ولو كانت البشرية بمجردها أفضل من الملكية، لكان كل بشر أفضل من الملائكة مَعَاذ الله" إلى هنا كلامه وذهب الراغب: إلى أن الملائكة أفضل منْ وَجه، ورسل البشر أفضل من وجه، فقال:" الملائكة رُسُل الله وخلفاؤه علي أمور لا يصلح لها

دمشق ، ولي قضاء مصر ، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ .

انظر : فوات الوفيات – لابن شاكر (١/٢٨٧) ، والنجوم الزاهرة – لابن تغربردي (٧/٢٠٨) .

١-عمر بن رسلان البلقيني ، أبو حفص ، سراج الدين ، مجتهد من حفاظ الحديث ، ولي قضاء الشام ، وتوفي سنة ٨٠٥هـ .

انظر: الضوء اللامع (٦/٨٥) ، وشذرات الذهب (٧/٥١) .

رسل الناس، كما أن رسل الناس خلفاؤه في أمور لا تصلح لها الملائكة، ولقصُور الملائكة عَن أمور لا تصلح إلا للناس قالوا لما نبههم على:{ لا علم لنا إلا ما علمتنا} {البقرة: ٣٢} ولقصُور الإنسان عَن أمور لا تصلح لها الملائكة أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول:{ولا أقول إني ملك} {الأنعام: ٥٠} انتهى.

وقال بعضهم:" رُسل البشر أفضل من الملائكة ورُسل الملائكة أفضل من الأنبياء "، وعَزاه البلقيني٤ في المنهج إلى اختيار الحنفية حيث قال:" المختار عند الحنفية أن خواص البشر وهم المرسلون أفضل من جملة الملائكة، والملائكة الخواص أفضل من الأنبياء غير المرسلين" انتهى.

المذهب الرابع: أن الملائكة أفضل من الأنبياء مطلقا، وهو ما عليه الحكماء وَ المعتزلة وبعض أهل السُنة كالأستاذ أبي اسحق الإسفرايني[1]، والقاضي أبي بكر الباقلاني[2] من المتكلمين، والإمام الحليمي[3]، وأبي شامه[4]

١- إبراهيم بن محمد بن مهران ، الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني ، كان من معاصري الباقلاني وابن فورك ، توفي سنة ٤١٨هـ .
انظر : تبيين كذب المفتري ص ٢٤٣ ، وسير أعلام النبلاء (٣٥٣/١٧) .

٢- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، الإمام القاضي ، العلامة ، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية ، من أهل البصرة وسكن بغداد وبها توفي سنة ٤٠٣هـ .
انظر : تاريخ بغداد - للخطيب (٣٧٩/٥) ، و اللباب - لابن الاثير (١١٢/١) .

٣- الحسين بن الحسن ، أبو عبد الله الحليمي ، إمام أهل الحديث في ما وراء النهر صاحب المنهاج مختصر شعب الإيمان ، ولد بجرجان ، وتوفي في بخارى سنة ٤٠٣ هـ .
انظر : الرسالة المستطرفة - للكتاني ص ٤٤ ، والأعلام (٢٣٥/٢) .

٤- عبد الرحمن بن إسماعيل ، أبو القاسم ، شهاب الدين أبو شامة ، مؤرخ ، محدث ، ولي مشيخة دار الحديث الاشرفية ، مقدسي الأصل ، ودمشقي المولد والنشأة والوفاة ، توفي سنة ٦٦٥ هـ .
انظر : فوات الوفيات (٢٥٢/١)، وغاية النهاية - لابن الجزري (٣٦٥/١) .

من الفقهاء والأصوليين، وابن بطال[1]، والحاكم النيسابوري من المحدثين[2]. وقال الإمام الرازي في المعالم: انه المختار[3]. قال في كشف الكشاف: " المسألة مختلفٌ فيها بين أهل السنة فمنهم مَنْ ذهَبَ إلى تفضيل الملائكة، وهو مذهب ترجمان القرآن ابن عباس[4] واختاره الزجاج[5] على ما نقله صاحب التقريب وَجَرِيْ عليه آخرون، وَجَعَلوا المفاضلة بين الجنسين[6] فقالوا: " حقيقة الملك أفضل من حقيقة الإنسان كائنا مَا كان لأمور عقليه وأخرى نقليه، أما العقلية فلانّ الملائكة أرواح مُجردة في ذوَاتها عَنْ علائق المادة وتوابعها، فليس شيء من أوصافها بالقوة، بل جمع كمالاتها بالفعل في مبتدأ الفطرة والنفوس الناطقة الإنسانية في ابتدأ فطرتها عريّة عن الكمالات، ثم يحصل لها ما يحصل بالتدريج والتنقل من القوة إلى الفعل، والتام أفضل من غيره، ولأن الروحانيات متعلقة بالهياكل العلوية الشريفة المبرأة عن الفساد، وهي

١- علي بن خلف ، أبو الحسن ، المعروف بابن بطال ، عالم بالحديث ، من أهل قرطبة ، له شرح البخاري ، توفي سنة ٤٤٠هـ .
انظر : شذرات الذهب (٢٨٣/٣) ، والأعلام (٢٨٥/٤) .

٢-محمد بن عبد الله بن حمدوية ، الشهير بالحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله ، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه ، مولده بنيسابور سنة ٤٠٥ هـ ، وبها توفي .
انظر : ميزان الاعتدال - للذهبي (٨٥/٣) ، ولسان الميزان ٥- لابن حجر (/٢٣٢) .

٣-انظر : شرح المواقف (٣٠٩/٨) ، وشرح المقاصد (٦٧/٥).

٤-عبد الله بن عباس الهاشمي ، أبو العباس ، حبر الأمة ، الصحابي الجليل ، ترجمان القرآن ، ولد بمكة ، وكف بصره في آخر عمره ، سكن الطائف ، وبها توفي سنة ٦٨ هـ .
انظر : الإصابة - لابن حجر ص ٤٧٧٢ ، وصفوة الصفوة - لابن الجوزي (٣١٤/١) .

٥-إبراهيم بن السري ، أبو إسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة ، ولد ببغداد ، وبها مات سنة ٣١١ هـ .
انظر : معجم الأدباء - للحموي (٤٧/١) .

٦-انظر : شرح المواقف (٨/٣٠٩_٣١٢) .

الأفلاك والكواكب المدبرة لما في العالم السُفلي بأوضاعها واتصالاتها المختلفة، من تسديس وتثليث وتربيع ومقابلة ومقارنه، وانطباق مناطق الأفلاك وانفصالها، والنفوس الإنسانية متعلقة بالأجسام السفلية الكائنة الفاسدة، ولأن الروحانيات مبرأة عن ظلمة المادة وعن الشرور والقبائح والأخلاق الذميمة من الغضب والشهوة وغيرهما، ولأنّ الروحانيات نورانية صافية الجوهر لطيفة شفافة لا حجاب فيها يمنع من تجلي الأنوار القدسية، فهي أبدا مستغرقة في مشاهدة الأنوار الربانية، والجسمانيات مركبة من المادة والصورة، والمادة ظلمانية مانعة عن تلك المشاهدات الدائمة، ولانّ الروحانيات قوية على الأعمال الشاقة والأفعال العجيبة الخارقة، كالزلازل والسحب، فإن الزلازل توجد بحركاتها،والسحاب يعرض ويزول بتصريفها، والآثار العلوية تحدث بمزاولتها حسبما نطق به أشرف الكتب الإلهية بقوله:{فالمقسمات امراً * فالمدبرات امراً} {الذاريات ٤:٥} ولا يلحقها بذلك فتورّ ولا إعياء، لأنّ قدرتهم على تغيير الأجسام وتقليب الأجرام وتحريكاتها ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب بخلاف الجسُمانيات،ثم إنك ترى السُفلية الضعيفة من النبات في بدّء نُموها تفتق الأحجار، وتشق الصخور الكبار، وما ذاك إلا لقوة فاضت عليها من جَواهر القُوى الروحانية، فما بالك بتلك القوى السماوية.

ولأن اتصاف الروحانيات بالكمالات العلمية أتم وأكمل وأشمل لإحاطتها بما كان في الأعصر الأول، وبما يكون في الأزمنة المستقبلة بنظرهم في اللوح المحفوظ، واطلاعهم على أسرار المغيبات، وعلومهم كلية إذ لا حواس لهم ترتسم فيها المثل الجزئية،وفعلية لأنها مبادئ الحوادث في عالم الكون والفساد، وفطرية أي حاصلة في ابتداء فطرتهم آمنة من الغلط

بخلاف ساير الجُسمانيات، ولأن التوفيق خلق وقدرة الطاعة في العبد، وإذا كان التوفيق لها منه تعالى وجب أن يكون الأفضل من كان توفيقه له وعصمته إياه أكثر، ووجدنا الطاعة من الملائكة أكثر، فوجب أن يكونوا بذلك أفضل.

ولان عبادة الملائكة أشق لأنهم آمنون من الآفات البشرية، من نحو قتل وغرق وَحَرَق ومرض وحاجة وفاقة وشقاوة وكفر ومعصية، والسماوات التي هي مساكنهم كالجنان، وكل من قل خوفه وكثر تَنَعمه، كَانَ أشد تمردًا، والملائكة مع كثرة أسباب التنعم والتمرد مُنذ خلقوا بقوا مشغولين بالعبادة خاشِعين وَجِلين مُشفقين، لا يلتفتون إلى نعيم الجنان واللذات، بل أقبلوا الدهر كله على الطاعة الشاقة موصوفين بالفزع الشديد، ولا يقدر أحد من الآدميين أن يبقى كذلك يوماً واحدًا، فضلا عن تلك الأعصار المتطاولة.

ومما يدل على أن طاعتهم أشق أن انتقال المكلف من نوع عبادة إلى نوع آخر كالانتقال من بُستان إلى بُستان، أما الإقامة على نوع واحد فإنها تُورث مَلَلاً ولذلك جعلت التصانيف مقسمة بالأبواب والفصول، وجعل القرآن مقسومًا بالسور والأخماس والأعشار،وكل من الملائكة يُواظب على عمل واحد لا يعدل عنه لغيره كما قال تعالى:{يُسبحون الليل والنهار لا يفترون} {الأنبياء:٢٠} وقال عنهم:{إنا لنحن الصافون} {الصفات:١٦٥} الآية، فثبت أن عبادتهم أشق، والأشق أكثر ثوابا، والأكثر ثوابا أفضل، ولأنهم اسبق في العبادة من البشر، والأسبق أفضل بدليل:{والسابقون السابقون أولئك المقربون} {الواقعة:١٠}ولان الأنبياء ما استغفروا لأحد إلا وبدؤا بالاستغفار لأنفسهم، والملائكة لم يستغفروا لأنفسهم بل للمؤمنين، ولو كانوا محتاجين للاستغفار لبدؤا به لهم، وذلك يقتضي تفضيلهم عليهم، ولأن كمال حال

الأجساد إنما يحصل باتصال الأرواح بها، والملائكة أرواح محضة، والبدن جسم كثيف استتار بنور الروح، وكمال هذه الأرواح هو اتصالها بعالم الملائكة فهم أفضل.

وأما المنقول فأمور منها قوله تعالى:{قل لا أقول لكم عندي خزان الله ولا اعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك}{الأنعام:٥٠} فإنه كلام إنما يحسن إذا كان الملك أفضل، إذ هو في معرض التواضع ونفي التعظيم والترفع والنزول عن هذه الدرجات، فكأنه قال لا اثبت لنفسي رتبة فوق البشرية كالإلهية والملكية، بل أدعي لها ما يثبت لكثير من البشر وهو النبوة [1]. ومنها قوله تعالى:{ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين}{الأعراف:٢٠} فانه يفهم انه حرضهما على الأكل من الشجرة لما منعا عنه، بأن القصد من المنع قصوركما عن درجة الملائكة، فكلا منها ليحصل لكما ذلك الشرف، فقبلا وأكلا [2]. ومنها قوله تعالى:{لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون}{النساء:١٧٢} فانه مصرح بتفضيل الملائكة على المسيح فانه يقال لا يترفع عن هذا الأمر الأمير، ولا من فوقه، ولا يقال من دونه، ويقال لا يستنكف الوزير عن خدمة فلان، ولا السلطان، ولا يمكن العكس [3]. ومنها قوله تعالى {ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته}{الأنبياء:١٩} وليس المراد بكونهم عنده القرب المكاني لتعاليه تعالى عن المكان، بل قرب الشرف والمزيه. ومنها قوله تعالى:{علمه شديد القوى}{النجم:٥} يعني جبريل:{نزل به الروح الأمين على قلبك} {الشعراء:١٩٣}

١ انظر : شرح المواقف (٣١٢/٨) .

٢ انظر : شرح المقاصد (٧٠/٥).

٣ انظر : شرح المواقف (٣١٣/٨) .

والمعلم أفضل [1]. ومنها اطراد تقديم ذكرهم على الأنبياء في الكتاب الإلهي، والمفضول لا يقدم على منهج الاطراد.ومنها أن قوله سبحانه وتعالى:{إن عليكم حافظين}{الانفطار:١٠} فيه شمول للأنبياء فيقتضي أن الملائكة أفضل منهم،لأن الحافظ أبعد عن الخطأ من المحفوظ،ولأنه جعل كتابتهم حجة للبشر وحجة عليهم في الطاعة والمعصية، وكفى بذلك فضلا عليهم [2].

ومنها خبر البيهقي وغيره مرفوعا: "بينا أنا قاعدٌ إذ جاء جبريل فوكز بين كتفي، فقمتُ إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعدت في إحداهما وقعد في الآخر، فسمت وارتفعت حتى سدت بين الخافقين، وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمسست، فالتفتُ فإذا جبريل كأنه حلس [3] لاطئ [4]، فعرفت فضل علمه بالله علي" ومنها خبره أيضا: "لما أُسري بي كنت أنا في شجرة وجبريل في شجرة فغشينا من أمر الله ما غشينا، فخر جبريل مغشيا عليه وثبت على أمري، فعرفت فضل إيمان جبريل على إيماني" وفي رواية: "فوقع جبريل مغشيا عليه كأنه حلس فعرفت فضل خشيته على خشيتي" [5].

١ انظر : شرح المواقف (٣١٤/٨).

٢-انظر : شرح المواقف (٣١٤/٨) .

٣-الحِلْسُ والحَلَسُ : كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والسرج ، وقيل هو كساء رقيق يكون تحت البرذعة ، ويقال لبساط البيت الحلس ، يقال رجل حِلْسٌ وحِلسٌ : لا يبرح مكانه ، شبه بحلس البعير أو البيت .

انظر : لسان العرب (٥٤/٦) ، و غريب الحديث – لابن قتيبه (١/ ٢٣٤).

٤-لَطِئ بالأرض ولَطأ بها ، إذا لزق ، وفي الحديث " لطئ لساني فقل عن ذكر الله " أي يَبِس فكبُر عليه فلم يستطع تحريكه .

انظر : النهاية (٢٤٩/٤) ، والمعجم الوجيز ص ٥٥٧ .

٥-هذه الرواية والتي سبقتها أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٣٦٩/٢)، من طريق أبي عمران الجوني عن أنس مرسلاً ، ومن طريق محمد بن عمير بن عطارد عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً ، ولها شاهد عند الإمام أحمد (٢٣١/٢) عن أبى هريرة دون وجه الشاهد من القصة .

المذهب الخامس أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وعليه جمهور أهل السنة وأكثر أهل الملل والنحل وقاطبة[1].

قال الزركشي:" وهو آخر أقوال أبي حنيفة فيما ذكره شمس الأئمة" انتهى وذلك لأمور منها أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام سجود تكريم وتعظيم، لا زيارة وتحيه بدليل استكبار إبليس واحتجاجه بأنه خير منه لكونه من نار وآدم من طين{وأمر} [2] الأدنى بالسجود للأعلى، وهو المتبادر إلى الذهن، وعكسه خلاف مقتضى الحكمة، إذ السجود أعظم أنواع الخدمة، و إخدام الأفضل للمفضول تأباه العقول. وأما قوله عليه الصلاة والسلام:" سيد القوم خادمهم"[3] فاستعارة وتمثيل، لأن الخادم كالسيد في إصلاح المقام والمصالح، وأما ما قيل أن الخدمة من عند نفسه غير الأمر بالخدمة الذي هو معنى الإخدام وفيه الكلام، أجيب بأنه يمكن كون الإخدام حينئذ تعليما له وتقريبا لدفع الإعجاب المظنون، وإذا ثبت أن آدم عليه الصلاة والسلام أفضل منهم فمثله بقية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذ لا ذاهب إلى الفرق[4].

ومنها أنه سبحانه وتعالى أمر آدم بتعليمهم الأسماء قصدًا إلى إظهار فضله، والعالم أفضل من غيره:{هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}{الزمر:٩} لا يقال هم لهم علوم جمة أضعاف العلم بالأسماء لما شاهدوا من العلم المحفوظ وحصلوا في الأزمنة المتطاولة بالتجارب والأنظار المتوالية فلا

١- انظر : شرح المواقف (٣٠٩/٨) .

٢-ما بين المعكوفتين من شرح المواقف (٣٠٩/٨) وما في الأصل والأمر والصواب ما اثبت .

٣ - لا يصح ، اورده السخاوي في المقاصد رقم (٥٧٩) والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفه رقم (١٣٥٠) .

٤-انظر : شرح المواقف(٣١٠/٨) .

يلزم منه أفضليتهم عليهم لانا نقول الآية مستوفية لبيان الأعلم[1].

ومنها انه سبحانه وتعالى:{اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم على العالمين}{آل عمران:٣٣}الذين من جملتهم الملائكة، ومنها أن المواظبة على الطاعات مع الشواغل، واكتساب الكمال مع العوائق، أدخل في استحقاق الثواب، ولا يخفى ما للبشر من العوائق عن العبادة، من نحو شهوة وغضب وحقد وحسد وكبر و غيرهما، وليس للملائكة ذلك، ومنها القيام بالجهاد والصبر على مصائب الدنيا ومحنتها، و الرضى بمر القضاء وحلوه، ونفع العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفع المضار وجلب المنافع[2].

ومنها أن تكاليف الملائكة مبنية على النصوص قال تعالى:{لا يسبقونه بالقول}{الأنبياء:٢٧} وأكثر تكاليف الشريعة مبني على الاستنباط قال تعالى:{فاعتبروا يا أولي الأبصار}{الحشر:٢} {لعلمه الذين يستنبطونه منهم}{النساء:٨٣} والتمسك بالاجتهاد والاستنباط في معرفة الشيء أشق من التمسك بالنص، والأشق أفضل بالنص وبالقياس، إذ لو اشتركت الطاعة السهلة، والشاقة في قدر الثواب كان تحمل ما زاد عبثا، وتحمل الضرر الخالي عن الفائدة محظور قطعا، ومنها أن الإنسان ركب تركيبا بين الملك الذي له عقل بلا شهوة، والبهيمة الذي لها شهوة بلا عقل، فبعقله له حظ الملائكة، وبطبيعته له حظ من البهيمة، ثم إن من غلبت طبيعته على عقله فهو شرّ من البهائم، لقوله سبحانه وتعالى:{أولئك كالأنعام بل هم أضل}{الأنعام:١٧٩} وقوله:{إن شر الدواب عند الله}{الأنفال:٢٢}الآية، وذلك يقتضي أن يكون من غلب عقله

١-انظر : شرح المقاصد (٦٦/٥) .

٢-انظر : شرح المقاصد (٦٦/٥) .

على طبعه أفضل من الملائكة [1].

ومنها أن شبهات البشر أكثر،إذ من الشبهات القوية ربط الحوادث الأرضية بالاتصالات الفلكية، والمناسبات الكونية، والملائكة لا شبهة لهم، لأنهم سكان السماوات مشاهدون لأحوالها، فيعلمون بالضرورة أنها لا أحياء ولا ناطقة بل مفتقرة إلى التدبير افتقار السفليات إليه، وهذا المذهب هو الذي عليه أكثر أهل السنة كما تقرر.

وأجابوا عن احتجاج آل ياسين بان معنى{لا أقول لكم عندي خزائن الله} {الأنعام:٥٠}الآية، إني لست بملك غني يكون لي القوة والقدرة على إنزال العذاب بإذن الله،كما كان لجبريل الذي قلب بأحد جناحيه مدائن قوم لوط بأسرها، أو يكون لي العلم بذلك بإخبار الله بلا واسطة [2].

وبانّ قوله:{ما نهاكما ربكما}{الأعراف:٢٠} الآية، مع كونه تخيلا من الشيطان إنما يفيد الأفضلية على آدم قبل البعثة، وبانّ جبريل إنما كان مبلغا، والتعليم من الله، وبان قوله:{لن يستنكف المسيح}{النساء:١٧٢} إلى آخره إنما يفيد الزيادة فيما جعل سبباً للترفع والاستنكاف، لكون عيسى ولد بلا أب، وإبراء الأكمه والأبرص، فالمعني ولا من فوقه في ذلك، وهم الملائكة الذين لا أب لهم ولا أم، ويقدرون على ما يعجز عنه عيسى، وأيضا إذا قيل هذا العالم لا يستنكف من خدمته الوزير ولا السلطان، نعلم بعقولنا أن السلطان أعظم درجة من الوزير [3].

فعلمنا أن الغرض من ذكر الثاني المبالغة، فالمبالغة إنما عرفناها بهذا

١- انظر : شرح المواقف (٣١١/٨) .

٢-انظر : شرح المقاصد (٦٨/٥) ، وشرح المواقف (٣١٣/٨) .

٣- انظر : شرح العقائد النسفية ص ١١٥ .

الطريق، لا بمجرد الترتيب الذكري، ولا يمكن في الآية أن نعلم أن المراد من قوله:{ولا الملائكة} بيان المبالغة إلا إن عرفنا قبله أن الملائكة المقربين أفضل من المسيح فيتوقف صحة الدليل على صحة المطلوب وذلك دور. وبانّ المراد تقديم ذكرهم على الأنبياء إنما هو لتقدمهم في الوجود، فجعل الوجود اللفظي مطابقا للوجود الحقيقي، أو بحسب قوة الإيمان بهم فإن وجودهم أخفى، وكل ما كان أخفى فالإيمان به اقوي- [1]، وبان قصته مع جبريل كانت في أوائل البعثة ثم ترقى بعدها [2].

وقد قالوا في قوله عليه الصلاة والسلام لمن قال له: يا خير البرية " ذاك إبراهيم" [3]، بانّ هذا قبل أن يوحى إليه انه أفضل الأنبياء فهذا مثله.

١-انظر : شرح المقاصد (٧١/٥) .

٢-يشير إلى قوله تعالى { علمه شديد القوى } { النجم :٥ } وفيه أن المعلم وهو جبريل عليه السلام افضل من المتعلم وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . شرح المقاصد (٧٠/٥).

٣-أخرجه مسلم في كتاب الفضائل –باب من فضائل إبراهيم (١٨٣٩/٤) .

الفصل الثاني

في التفضيل بين خواص الملائكة وعامة البشر

ولا ريب في أن خواص الملائكة أفضل،بل حكي المولى التفتازاني في شرح العقائد عليه الإجماع وجعله من الضروريات [1] ، وكأنه لم يعتد بخلاف بعض الحنابلة فيه لشذوذه وعدم اعتباره [2] ، ويكفي قول بعض أجلائهم وهو ابن عقيل [3] هذه شناعة عظيمة وبشاعة وخيمة

الفصل الثالث

في التفضيل بين أولياء البشر وعوام الملائكة

فذهب جمعٌ إلى تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر، وجزم به التاج السبكي، وعزاه البلقيني في المنهج إلى الجمهور، وعبارته" أما الصالحون من البشر غير الأنبياء فأكثر العلماء على تفضيل الملائكة عليهم وقيل أولياء البشر أفضل" ومال إليه البلقيني ونسبه بعضهم إلى الصفار [4]

١-انظر : شرح العقائد النسفية ص ١١٢ .

٢-قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢/٤٠٠) بعد أن ذكر حكاية التفتازاني الإجماع ما نصه " ونقل السعد التفتازاني في شرح العقائد النسفية الإجماع على أن خواص الملائكة أفضل من أولياء البشر بعد الرسل والأنبياء ، وهذا مردود ومدخول فقد قدمنا أن معتمد القول عند علمائنا ومن وافقهم أن الأولياء افضل من خواص الملائكة ، نعم ابن عقيل خالفهم في ذلك فقال : " وخواص الملائكة من جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (ملك الموت) افضل من الأولياء ، وقال في القول بخلاف هذا شناعة عظيمة على قائله " كذا قال مع انه هو نفسه صرح بأن الأنبياء والأولياء افضل من الملائكة " .

٣- علي بن عقيل ، أبو الوفاء البغدادي ، المعروف بابن عقيل ، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته ، كان قوي الحجة ، جميل التصانيف .

انظر : شذرات الذهب -لابن العماد (٤/٣٥) ، و الاعلام (٤/٣١٣)

٤-جزم السفاريني في لوامع الأنوار (٢/٤٠١) بنسبته للصفار حيث قال :" وجزم به الصفار من الحنفية وهو المختار عندهم ، ومال البلقيني إلى بعضه ، وهو أنه قد يوجد من أولياء البشر من هو أفضل من

الفصل الرابع

في التفضيل بين عامة البشر وعامة الملائكة

وعامة البشر أفضل على ما جزم به النسفي في عقائده، وأقره عليه المولى التفتازاني ولم يحك سواه [1] ، قال الكمال ابن أبي شريف:" والمراد بعامة البشر هم غير الأنبياء من المطيعين الذين ليسوا بأولياء، فالعصاة لا مفاضلة بينهم وبين الملائكة أصلا" و به صرح الراغب فقال:" أما فضلية الملائكة على الدُهما الذين وصفهم الله بالجهل وجعلهم كالأنعام،فلا يرتاب أحد فيه" انتهى. فهذا ما وقفت عليه من الأقوال فأوردته باقتصادٍ واختصار، ثم إني لم أر أحدا ممن تكلم في المسألة حكى قولاً بالتساوي بين الأنبياء والملائكة في الفضل، ثم رأيت الإمام الراغب قال:" لم يقل أحد بأنهما سواء"

* * *

غير الخواص من الملائكة " .

١- انظر : شرح العقائد النسفية ص ١١٢ .

خاتمة

يستثنى مما تقدم من جريان الخلاف بين الأنبياء والملائكة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، أما هو فقد قطع السبكي القول بأنه أشرف مخلوق وأزكاه وأكرمه. وقال ولده التاج:"الذي ينشرح له الصدر إطلاق القول بأنه خير الخلائق أجمعين من ملك وبشر". وقال الزركشي في شرح جمع الجوامع: إن الإمام الرازي نقل في تفسيره الإجماع على تفضيل المصطفى على جميع العالمين، واستثنوه من الخلاف في التفضيل بين الملك والبشر، وقال البلقيني في المنهج ينبغي أن يكون محل الخلاف في غير نبينا، أما هو فهو أفضل خلق الله أجمعين انتهى.

وأما تفضيله على الأنبياء فقد نقل الإمام الرازي في تفسيره الإجماع عليه حيث قال:" أجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من الكل" وتبعه على ذلك المولى التفتازاني فقال في المقاصد:" قد دلت النصوص وانعقد الإجماع على أنه مبعوث إلى الناس كافة بل إلى الثقلين لا إلى العرب خاصة، وانه خاتم النبيين لا نبي بعده،وانه أفضل الأنبياء وأمته خير الأمم" [1] هذه عبارة المتن قال في شرحه:"وأختلف في الأفضل بعده فقيل آدم لكونه أبا البشر، وقيل نوح لطول عبادته ومجاهدته، وقيل إبراهيم لزيادة توكله واطمئنانه، وقيل موسى لكونه كليم الله ونجيه، وقيل عيسى لكونه روح الله وصفيه، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب[2]

١- انظر : شرح المقاصد (٥/٤٥) .

٢- المصدر السابق (٥/٤٧) .

تمت الرسالة الشريفة المباركة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، على أضعف خلقه وأحوجهم إلى عفوه وفضله العبد يوسف بن علي بن محمد الملاح الحنفي غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه والمسلمين آمين.

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة في الثاني والعشرين من شهر صفر الخير،سنة اثنين وثلاثين وألف من الهجرة النبوية ختمت بخير، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه، وحسبنا الله ونعم الوكيل،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول كاتبه الفقير الحقير يوسف الملاح الحنفي لطف الله به:"ومما رايته منسوبا في جواب فتيا العلامة شمس الدين البساطي المالكي[1] ما فيه جواب عن سؤال نوم الملائكة وعن الجمع بينها وبين قوله تعالى:{لا تأخذه سنة ولا نوم} {البقرة:٢٥٥} وصورة ذلك: هل عدم الشعر خاص بنبينا صلى الله عليه وسلم أو بنوع الأنبياء، وهل الملائكة ينامون أو لا، لان قوله تعالى:{ لا تأخذه سنة ولا نوم} خرج مخرج المدح، ولو لم يكن خاصًا به تعالى لما كان فيه مدح، لا يقال قوله تعالى:{يسبحون الليل والنهار}{الأنبياء:٢٠} يدل على عدم الفترة بالنسبة إلى التسبيح، وبالنسبة إلى الزمن،والنوم فترة، فهو مخالف لمقتضى ظاهر الآية، لأنه يقال عدم الفترة مقيد للمنصوبين، وهما طرف والطرف لا يقتضي الاستيعاب، فأجاب بان الظاهر في الشعر أنه عامّ لقوله تعالى:{وما ينبغي له}{يس:٦٩} لان هذا لا يُظهر للخصوص نكتة، وأما الملائكة فالظاهر على مذهب المسلمين أن

---

[1]محمد بن احمد الطائي البساطي ، أبو عبد الله ، شمس الدين ، فقيه مالكي ، تولى قضاء الديار المصرية ولم يعزل الى ان توفي بالقاهرة سنة ٨٤٢هـ.

انظر : شذرات الذهب (٧/٢٤٥) ، والضوء اللامع (٧/٥) .

الملائكة ينامون، أي من شأنهم ذلك، وأما عند الفلاسفة فإنهم لا يقبلون ذلك.

ولا مخالفة بين الآيتين على المذهبين، أما على مذهب المسلمين فلأن عدم الفتور لا يستلزم عدم الأخذ، إذ لا تناقض بين السلب مطلقا، وإيجاب فعل يستلزم سلبا بوجه باعتبار ذاتين،مثلا: الخالق سبحانه سلب عنه ضرورة النوم مطلقا، والملائكة أثبت لهم التسبيح دائما، وهو مستلزم لا فتور، لكن على وجه الوقوع والاتفاق لا على وجه الضرورة، وأما على رأي الفلاسفة فلان الباري سبحانه وتعالى سلب عنه النوم على معنى انه غير مقهور لشيء من الأشياء، والملائكة سلب عنهم ذلك باعتبار خلقهم على صورة لا يتأتي فيها النوم، فبين المسلكين بون بعيد انتهى.

والله أعلم بالصواب و إليه المرجع والمآب.

قائمة المراجع

- الإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر، طبع دار إحياء التراث العربي- بيروت ، لبنان.
- الأربعين، الرازي، تحقيق أحمد حجازي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط. ١، ١٩٨٦م، القاهرة
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة، الجويني، تحقيق محمد يوسف وعلي عبد المنعم، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٠م.
- الأعلام للزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، بيروت، لبنان.
- الإقناع في القراءات السبع، عبد المجيد قطامش، ط. جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- الأنساب، للسمعاني، أبو سعد عبد الكريم، تحقيق المعلمي، طبع دائرة المعارف ، حيدر آباد
- إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون، طبع وكالة المعارف العثمانية، تركيا، ١٣٦٤هـ.
- البداية والنهاية، ابن كثير، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف – بيروت ، لبنان.
- بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، الطبعة الاولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣١م.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مصورة بالمكتبة السلفية بالمدينة.

- تاريخ مصر الحديث، جرجي زيدان.
- تبيين كذب المفتري، ابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٠هـ.
- الجامع الصحيح للإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، لبنان.
- حسن المحاضرة، السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين المحبي.
- الدرر الكامنة، لابن حجر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الرسالة المستطرقة، الكتاني، بيروت، لبنان.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب وآخرون، الطبعة الاولى، بيروت، ١٩٨٤م.
- شذرات الذهب، ابن العماد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
- شرح العقائد النفسية، سعد الدين التفتازاني، الطبعة الثانية، مطبعة صبيح، القاهرة.
- شرح المقاصد، التفتازاني، تحقيق عميرة، عالم الكتب، لبنان.
- شرح المواقف، للجرجاني، تصحيح الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، الطبعة الاولى، دار الجيل، بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى، ابن السبكي، تحقيق الطناحي والحلو، الطبعة

الاولى، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

- غاية المرام، الآمدي، تحقيق د. حسن الشافعي، الطبعة الاولى. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، مصر، ١٩٧١م.
- الغزو العثماني لمصر، للسيد عبد المنعم الراقد.
- الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي، المناوي، تحقيق أحمد مجتبي السلفي، الطبعة الاولى، دار العاصمة، الرياض.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي، مكتبة خير الكثير، باكستان.
- الكشاف، للزمخشري، دار المعرفة ن بيروت، لبنان.
- كشف الظنون، حاجي خليفة، مكتبة المثني، بغداد.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.
- لوامع الأنوار البهية، السفاريني، مطبعة المدني، القاهرة.
- مفتاح السعادة، طاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم، دمشق.
- المواقف في علم الكلام، الإيجي، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٦٣هـ.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

الفهرس

* * *

فهرس قسم العقيدة

* * *